

السيرة الدرس الخامس أسرى بدر

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، طلابنا الكرام، مرحبا بكم، سأردت فقط في بداية هذا الدرس أن أنبه إلى أمر أن المقرر سيكون إن شاء الله موازي بين الكتاب و ما أقوله خارج الكتاب إن شاء الله انتهت معركة بدر ولا تزال الفئة المؤمنة تعيش أجمل لحظات انتصارها، وكل فرد من أفرادها تتراءى له مشاهد التعذيب والاستضعاف. التي مارسها طغاة قريش أيام مكة، ثم ينظر إلى جثث المشركين، وقد تناثرت هنا وهناك، فتتهيج في نفسه، شعر لا توصف من الفرح والبهجة والشكر لله عز وجل الذي أتم النصر أعلى الحق، وأزهق الباطل، ثم جاءت القضية الثانية وهو موضوع درسنا، وهي كيفية التعامل مع الأسرى، فقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم صحابته في شأنهم، فكان رأي أبي بكر رضي الله عنه أخذ الفدية من الكفار لتقوى المسلمون بها، ولعل في ترك قتلهم فرصة للمراجعة والتفكير بالإسلام، بينما أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما بقتلهم. أنهم أئمة الكفر في التخلص منهم ضربة قوية لأهل مكة، بل قال عبد الله بن رواح رضي الله عنه يا رسول الله، انظر واديا كثير الحطب، فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم نارا، وبال النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأي أبي بكر رضي الله عنه، فحسم الخلاف، واختار الفدية، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم بمبادئه ليشرع للعالمين تصورا شاملا لحقوق الأسرى في الإسلام قبل المنظمات بمئات السنين، وجعلت لهم حقوقا شاملة، وجعل لهم حقوقا شاملة، ولما المعاملة الحسنة التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للأسرى؟ مجرد قوانين نظرية، والحرص على راحة الأسير البدنية والصحية، قال بن عباس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسرى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، ينتقون لهم، أجود ما لديهم من طعام، ويقدمون لهم الملابس، فهذه أخلاق المصطفى التي تربي عليها جيل الصحابة، ومن بعدهم المجاهدون في كل مكان وزمان، وقد اختلف تعامل النبي مع بدر بين من وفداء

وقتل، ولم يقتل إلا إثنين عقب بن أبي معيط، والنظر ابن الحارث، وقد قتلهم قبل تقرير مصير الأسرى. كان هذان الرجلان من شر عباد الله، وأكثرهم كفر وعنادا وبغيا وحسدا، وهجاء للإسلام وأهله، لعناهم الله، فكان قتلهم مصلحة للمسلمين، وإعلاء لكلمتهم، وأظهار لشوكتهم، وفي نفس الوقت إذلالا لجبهة الكفر، فكيف إذا كان حاله كحال عقبة ممن حرض على المسلمين وعذبهم في مكة. النبي صلى الله عليه وسلم، وقد من على نفر من الأسرى يوم بدر من قریش بغیر فداء، منهم أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وكان محتاجا ذاعيا، وكان من جملة الأسرى الذين عرض عليهم الفداء، أبو العاص بن الربيع، وهو بن هالة بنت خويلد، أخت أمنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وزوج زينب بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبرى، وكان أبو العاص من خيرة. شباب قریش شرفا وخلقا، وقد رزقه الله من زينب بطفل وطفلة، هما علي الذي توفي صغيرا، وأمامة التي تزوجها فيما بعد، ذلك علي بن أبي طالب، وعندما نزل الوحي على أبيها صلى الله عليه وسلم. آمنت زينب مع أمها خديجة وشقيقاتها، فدعت زوجها للإسلام، ولم يقبل، لكنه لم يسع البتة إلى إجبارها على ترك دينها الجديد، وقد كان يحبها حبا جما، ويحترم أباهما، ولم يطلقها لطلب قریش كما فعل عتبة وعتيبة بن أبي لهب مع رقية وأم كلثوم. ما أن سمعت زينب رضي الله عنها بخبر فداء الأسرى، حتى همست لنفسها قائلة لبيك، أباء ماما، وخلعت عنها أغلى وأثمن ما تملك. وهي قلادة ذهبية، وبعثت بها إلى المدينة. بدأ له، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الخلادة عرفها، وظرفت عيناه الشريفتين، لأنها كانت قلادة لخديجة رضي الله عنها، فقالت فقال لأصحابه هذا الرجل ما ذمناه صهرا، فهل فككتم أسره؟ وألا رددتم إلى ابنتي عقدها؟ فقالوا نعم، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم لعب العاص، وقال له قل لزينب ألا تفرط في عقد أمها خديجة؟ ثم أسر إليه بأن الله أمر أن يفرق بين المسلمة والكافر، وقال له هل لا؟ رددت إلي يا ابنتي؟ لا. نعم، وقد فعل، ثم خرج أبو العاص في تجارة لقریش، فهاجمها المسلمون، وأخذوا ما معه، وطاردوه ليقتلوه، فهرب إلى المدينة، وبحث عن مكان زينب، وذهب إليها، فسأله أجنث مسلما؟ فقال بل جئت هاربا، فقالت لا تخف، فقد أجرتك، ولكن لن تقربني،

فلست تحل لي زوجا إلا إذا أسلمت وأخبرت أبيها، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هذا الرجل ماذا صهر؟ ا، وقد حدثني، فصدقني، ووعدني، فوفع، فأنا قبلتم أن تردوا إليه ماله. قالوا بلى، ورجع إلى مكة. أدى الودائع إلى أهلها، وقال لهم هذا ما في ذمتي لكم، ولا شأن لأحد منكم بي، ثم هاجر إلى المدينة، وأعلن إسلامه، وتوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله، أجرتني بالأمس واليوم جئتكم مسلما؟ قال يا رسول الله، هل تأذن لي بأن أراجع زينب؟ فتوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى زينب، وقال إن ابن خالتك جاءني تستأذني مراجعتك، فقبلت زينب، واجتمع الزوجان مرة أخرى، وسعيدان، لكن إن شاء الله. يتوفاها بعد عام واحد، فحزن عليها زوجها وابن خالتها أبو العاص حزنًا عظيمًا، وظل يقول لنبينا صلى الله عليه وسلم يا رسول الله، ما عدت أطيق الدنيا دون زينب، وما تبعدها بعام واحد، ومن أهل الفداء أيضا عمه العباس بن عبد المطلب، وعقيل أخو علي بن أبي طالب، وأبي العباس، ولم يكن عليه ثوب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد قميص عبد الله بن أبي الحارث يقدر عليه، فكسهوية، كما ورد أنه عليه السلام، كسى بعض الآثار من ملابسه. قد زاهر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة، فقال له بعض أصحابه ما يسرك يا نبي الله؟ قال أنين عباس، فمنعه أنينه من الراحة، فقام رجلا من القوم فأرخی من وثاقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال ما أسمع أنين العباس؟ فقال رجل من القوم إني أرخيت من وثاقه شيئا، فقال فافعل ذلك بالآثار كلهم، فقال ابن عباس كان ناس من آثار بدر، ليس لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدائهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فكل من يعلم عشر من الغلمان يفدي نفسه، فانظروا كيف قبل النبي صلى الله عليه وسلم التعليم رغم احتياجهم الشديد للمال، لينا سمو الإسلام في نظرتة إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وهي إستراتيجية مختلفة لم تعهد من قبل، فالأسرى كانت تفتى بالنوق، وقد استثمر النبي صلى الله عليه وسلم فرصة التعليم، العلم وانتشاره، وتحرير عشر عقول من قيد. هل إلى نور العلم، وهي من تأسيسات المصطلح القرآني؟ فكلمة اقرأ التي أول ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم جعلته يستثمر في العلم، ويعلي من شأن القلم والقرطاس، لينتشر نور المعرفة في

الأمة، ولهذا فعلينا أن نعي جيدا أن المصطلح القرآني لا ينتمي إلى منظومة تجريدية، شأنه شأن المصطلح الفلسفي، وإنما جعل ليكون موجها لصناعة المعنى وإقامة الحياة. ولذلك، نبرهن على أن هذا القرآن يملك أسبابا قوية للإمداد بالمعنى، وتوجيه الحياة، وإقامتها على أبها المناهج وأقومها، ولهذا سنجد أن هذه الدعوة التي أعلنت من قيمة العلم والمعرفة، ستكون نتاجا بعد سنوات لنشأة العلوم في الأمة الإسلامية، بعد أن كانت المعرفة. يقتصر على نظم الشعر للأغراض التي نعرفها ارتجالا ومشافها، وستنتقل فيما بعد ذلك إلى مرحلة المؤسسة، أي إنشاء وبناء المؤسسات وأحداث تغييرات في الواقع الاجتماعي والمعرفي لنشأة الصناعة التعليمية والصناعة التأليفية. ولهذا كانت أكبر مدونة أشادت بالعلم هو القرآن. وقد أحدث ثورة دلالية في علم المصطلح وكان المنطلق الأساس لمختلف علوم المسلمين في شتى المجالات. وهذا ما يفسر حجم الإنجازات التي إليها الأمة في عصورها الذهبية، لكون القرآن كان هو المصدر المؤسس للعلوم والمعارف، فكان أخذهم له بقوة، فمنحهم من الهدايات المعرفية، ما مكنهم من تحقيق الشهود الحضاري وبناء المعرفة، ولهذا كان ابتعادنا عن اقرأ التي كان التأسيس لهذه الأمة في الأخذ بمقاصد المعرفة الانحدار والاتكال على بقية الأمم، فلا نملك اكتفاءنا، لا غذاء ولا سلاحا، بل لا تملك هذه الأمة اكتفاءها الاصطلا. في تبليغ المعلومة وختام ا. والمتأمل في أحكام الشريعة الإسلامية في مسألة الأسرى وحقوقهم وطبيعة التعامل معهم، يلحظ بجلاء أن الإسلام يجنح باستمرار إلى تغليب الجانب الإنساني في معاملة الأسرى، والأهم من ذلك أن الإسلام جعل معاملة الأسرى خاضعة للنظام، إلهي محكم، وتشريع رباني مدون لا يجوز. بأي حال من الأحوال، تجاوزه أو التعدي عليه، مهما كانت الضغوط النفسية المتولدة في حال الحروب، ومهما كان الدوافع الانتقام. تشتعل في النفوس، لأن أحكام الله لا يجوز أن يتعدها أحد، وقد وضع فقهاء الإسلام أوصافا لمن يجوز أسره، وشروطا لوقوع الأسر، حتى أصبح له نظام وحدودا معروفة ومدونة في الشريعة الإسلامية، قبل أن يعرفها فقه القانون الدولي الحديث بقرون، بل لما ظهر تشريعات الأسرى في القانون الدولي، كان للفقه الإسلامي لنظرياته الخاصة به،

والتي تلتقي بالفقه الدولي أحيانا، وتختلف عنه أحيانا أخرى إلى هنا. وقد أنهينا درسا
اليوم أستودعكم الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته